

## قصة موسى وفرعون

عباد الله: ذكرنا في الخطب السابقة أنّ يعقوبَ دخلَ مصرَ بناءً على طلبِ يوسف عليه السلام. فأكرمه يوسف وأكرم إخوانه وأهله. وكثر بعد ذلك بنوا إسرائيل في مصر، ثم جاء موسى عليه السلام ورُبِّيَ في قصر فرعون ثم يفر موسى من مصر بعد قتله لرجل بن آل فرعون و يمكث عشر سنين في أهل مدين. ثم استأذن من صهره أن يعود إلى مصر. وفي الطريق وأثناء عودته إلى مصر اشتد البردُ وفقدَ النارَ وضلَّ الطريق. وأثناء هذه الظروف القاسية (إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجْدٍ عَلَى النَّارِ هُدًى). فأتى موسى هذه النار فإذا هي نورٌ عظيم (فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ يَا مُوسَى (١١) إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٢) وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى (١٣) إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي (١٤) إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى). في هذه الآيات يُنبه الله نبيه موسى قبل انطلاقه بعمل الدعوة إلى ثلاثة قضايا أساسية ينبغي أن يعرفها كل من أراد أن يتصدر لعمل الدعوة إلى الله:

- القضية الأولى: قضية التوحيد والعبودية: (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدْنِي). فلا بد أن يعلم هذه القضية كل داعية بل كل مسلم. وقد أمر الله نبيه محمد ﷺ أن يعلمها (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ). فمن الواجب على كل واحد منا أن يعلم أنه لا معبود بحق إلا الله ولا متصرف إلا الله ولا خالق إلا الله ولا مدبر إلا الله ولا حاكم ولا مسيطر ولا مرجو ولا مقصود ولا معطي ولا مانع ولا نافع ولا ضار إلا الله تبارك وتعالى.
- القضية الثانية التي ينبغي على كل مسلم معرفتها قضية الصلاة: (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي), فلا دين لمن لا صلاة له.
- القضية الثالثة التي ينبغي على كل مسلم معرفتها قضية الإيمان باليوم الآخر: وهي قضية كبرى ركز عليها القرآن في مواضيع كثيرة، وأبطل زعم الذين أنكروا هذا اليوم (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ

لَتَنْتَبُوْنَ بِمَا عَمَلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ). العقيدة التي لا تبني على الإيمان بالله والتوحيد وإقامة الصلاة والإيمان باليوم الآخر، هي عقيدة مهزوزة، عقيدة فاسدة.

ثم يتحدث الله بعد ذلك مع موسى حديثاً شيقاً ليزيل عنه الدهشة وليطرد عنه الرعب لأنه موقف صعب لا يتحملة أي إنسان. يقول الله لموسى: (وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى (١٧) قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى). يقول ابن عباس: رحم الله موسى، إنما كان يكفيه أن يقول عصا، ولكن أرتاح لخطاب ربه فزاد في الكلام. الله سبحانه يسأله عن العصا، لماذا أيها الأحبة؟ لأنها سوف تكون تاريخاً، سوف تكون معجزة، سوف تكون درساً للأجيال (قَالَ أَلْقَهَا يَا مُوسَى (١٩) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى). موسى عليه السلام لا يعرف هذا الخوارق. يعرف أن السماء هي السماء لا تتغير ولا تتبدل ويعرف أن الأرض هي الأرض وأن العصا هي العصا وأن الحية هي الحية. فلما انقلبت العصا إلى حية تسعى فرَّ موسى خائفاً فجاهه أمرٌ إلهي آخر: (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَى). وهنا يُربى موسى على اليقين وعلى التوحيد. درسٌ عملي ليُبين الله له أن الأشياء لا تضر ولا تنفع وإنما النافع والضار هو الله. فالعصا ليست عصا والحية ليست حية وإنما هو أمر الله. فعاد موسى وأخذها، فإذا هي عصا مرةً أخرى.

عباد الله: موسى عليه السلام فرَّ خائفاً من عصاه. ومع ذلك أرسله الله إلى ذاك الطاغية المجرم الذي كان يلقي المحاضرات على العملاء الأغبياء ويقول لهم: (مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي) فيصفقون له. ويقول لهم: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي) فيهزون رؤوسهم طرباً ويسجدون له تدللاً. قال بعض المفسرون: كان على قصر فرعون سنة وثلاثون ألفاً من الحرس، كل واحد منهم يرى أن فرعون إلهه وخالقه ورازقه ومحبيه ومميته! ثم قال الله لموسى: (وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةٌ أُخْرَى (٢٢) لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى). ثم بدأ التكليف بالدعوة بعدما رباه الله على التوحيد واليقين. بدأت الرحلة الشاقة: (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ

إِنَّهُ طَغَى). تصور معي يا أخي الحبيب, موسى عليه السلام وهو يستمع إلى هذا الأمر الإلهي. لقد فرَّ موسى من فرعون لأنه تمرد عليه وقتل شخصاً من رعيته وقد حَكَم عليه فرعون بالإعدام غيابياً. ثم يأتي الأمر الإلهي (أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى). لم يقل له اذهب إلى حاشية فرعون أو جنود فرعون أو أرسل له رسالة, وإنما أمره بالتوجه مباشرة إلى هذا المجرم الطاغية (أَذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ), لماذا؟ (إِنَّهُ طَغَى). لقد تجاوز الحد, سفك دماء الأبرياء, قتل الأطفال, نشر الفساد, أَرهَب العباد, دمر البلاد, داس الأجيال تحت قدميه. فماذا كان موقف موسى؟ هل طلب من الله أن يعفيه من هذه المهمة الصعبة؟ هل اعتذر بسبب ضعفه ومشاكله القديمة مع فرعون؟ أم ماذا كان موقفه؟ هذا ما سنبينه إن شاء الله في الخطبة الثانية.

أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم فيا فوز المستغفرين استغفروا الله

عباد الله: لقد أمر الله نبيه موسى أن يذهب إلى طاغية عصره وسفك الدماء فرعون رغم ضعف موسى. فما كان من موسى ألا أنه استجاب لأمر ربه, ثم توجه إلى الله بالدعاء فقال: (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي (٢٥) وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي (٢٦) وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي (٢٧) يَفْقَهُوا قَوْلِي). فموسى عليه السلام كان إذا تكلم أكل بعض الحروف, فليس في استطاعته أن يبلغ الدعوة وسوف يضحك عليه هذا المجرم. وقد فعل ذلك وعقد مقارنة بينه وبين موسى عليه السلام وفضل نفسه على نبي من أنبياء الله ورسول من أولى العزم قال في سورة الزخرف: (أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٥١) أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ) يقول: إنني أغني منه مالاً وأعظم منه سلطاناً وأفصح منه لساناً. فأنا ألقى المحاضرات وأعقد الندوات وموسى لا يستطيع ذلك. مع أن هذا بعد أن طلب موسى من ربه أن يحل عقدة من لسانه، فكيف لو ذهب موسى قبل ذلك؟! أن موسى ما طلب أن يكون أفصح الخلق ولا أخطب الناس وإنما طلب أن يكون كلامه مفهوماً لتقوم بذلك الحجة على فرعون, وقد قامت. وطلب موسى من ربه أن يجعل له نصيراً ومعاوناً على تلك

المواقف الصعبة: (وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي (٢٩) هَارُونَ أَخِي (٣٠) اشْدُدْ بِهِ  
أَزْرِي (٣١) وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي (٣٢) كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيْرًا (٣٣) وَنَذْكُرَكَ كَثِيْرًا (٣٤)  
إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيْرًا). ثم كان الجواب من الله: (قَالَ قَدْ أُوتِيْتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى). لم يقل  
طلباتك لان المطالب مهما كُثرت ومهما عظمت فهي هينة في ميزان الله عز وجل  
(إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ). ثم ذكر الله موسى بتاريخه وماضيه  
وإنعامه عليه في كل وقت. أعاد عليه ذكريات الطفولة والصبأ: (وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً  
أُخْرَى (٣٧) إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّكَ مَا يُوحَى (٣٨) أَنْ أَقْذِفِيْهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِيفِيْهِ فِي الْيَمِّ  
فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى  
عَيْنِي). وهذه الآية فيها قضايا: كأن الله يقول لموسى عليه السلام: لا تخف من فرعون  
فقد عصمناك منه وأنت طفل رضيع، وقد ربيناك في قصره، وكنت تضربه على  
وجهه وأنت طفل صغير. أتخاف منه الآن وأنت ابن الأربعين؟ لا تخاف منه فإنه  
أحقر وأهون من أن تخاف منه. ثم يستمر القرآن في تعديد نعم الله على موسى: (إِذْ  
تَمْشِيْ أُخْتُكَ فَتَقُوْلُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا  
تَحْزَنَ). ولا تظن يا موسى أننا نسينا النفس التي قتلتها، فإن ذلك مكتوب في كتاب لا  
يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، ولكننا غفرنا لك وفرجنا همك. (وَقَتَلْتَ نَفْسًا  
فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِيْنَ فِيْ أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ يَا مُوسَى  
(٤٠) وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِيْ). هذا تاريخ موسى أمام عينيه. وكان الله تبارك وتعالى يقول  
له: هذا تاريخك يا موسى، وتلك هي الأحداث التي مررت بها، كانت عنايتنا معك في  
كل حدث منها، وكان حفظنا يلاحقك في كل مكان حللت فيه: (اذهب أنت وأخوك  
بآياتي ولا تنيا في ذكري (٤٢) اذهبأ إلى فرعون إنه طغى). ولنقف الآن عند هذا  
المشهد، لننتقل إلى قصر فرعون، نستمع إلى ذلك الحوار الساخن الذي دار بين موسى  
وفرعون، على موسى السلام وعلى فرعون اللعنة. وهذا موضوع الخطبة القادمة إن  
شاء الله تعالى.

عباد الله: (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا).